

المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما يهم مطالعته من المقالات العلمية والادبية والتاريخية والعمرائية والفلسفية ما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلالة الجديدي وفوائد المفيد

شعرا مصر وقراء الجامعة

بين بولس وفرجينى

(حقيقة فرجينى)

لم يذهب سدى تعب « الجامعة » في مشروعاتها الجديدي وافتتاحه بتلخيص « بولس وفرجينى » اهم موه لفات برناردين دي سان بيير . فان رصفاءنا الكتاب واخواننا القراء قد قدروا هذا الكتاب الادبي قدره . ولوشئنا ان نذكر كل ما وردنا من حضرات القراء بشأن هذه الرواية الصغيرة لملأنا به عدة صفحات ولوجد القارئ فيه من الفكاهة ما يلذ له



فن ذلك انه بعد صدور الجزء السابق بيوم وليلة دخل علينا ساعي التناغراف مسرعاً وفي يده رسالة برفية . ففتحناها باهتمام شديد ونحن انضرب اخماساً باسداس لاننا حسبناها وارادة من خارج مصر في امر خصوصي عائلي . ولكننا قرأنا في هذه الرسالة ما يلي

« من ديروط — الجامعة بالاسكندرية

« فرغت الآن من مطالعة قصة « بولس وفرجيني » وكفى بها ان تكون اول واعظم مشهد في مجلاتنا العربية لظواهر الفضيلة ونصرة دعائها الحدة (هنا خطأ من الناظرين على ما نظن والارجح انها المحضة او المجيدة) والخير والحق . فنشكركم على اتحاف لغتنا العربية بها وتعظيم درجة كتابنا الشرقيين بوضع هذه القصة العجيبة النفع وذلك بلسان الفقير المستفيد »
(عياد عبدالله)

فانقلب حينئذ اهتمامنا الشديد الى ارتياح وضحك وشكرنا حضرة المراسل الفاضل على حسن ظنه بالجامعة . والحق ان اهتمام قراء الجامعة الى هذا الحد بما يُنشر فيها لما ينسبها كل تعب وعناء يُبذل في سبيله

ومن ذلك قول قارىء كريم ابني عائلة خارج مصر « سأمحكم الله على نشر هذه الرواية فان ابني لم تشف لها دمة في ليلة امس حين قراءتها . وقد طرحتها عند الصفحة الاخيرة وانطرحت على المقعد تبكي بكاء مرّاً كأنها مصابة بمصيبة . اما كان الافضل تزويج بولس وفرجيني بدلاً من انتهاء حياتهما بهذه الصورة »

وقال قارئ من الشبان العزاب « جاء في ختام المقالة عن فرجيني ان الجامعة نودّ ان تعلم اسماء الاطفال الذين يُسمون بعد صدور هذه الرواية « بولس وفرجيني » فاننا تمتيت بعد مطالعة هذه الرواية ان اكون متزوجاً وان تكون امرأتى على وشك الوضع لاسمي ابني او ابنتي باسم بولس او فرجيني »

ونحن لم نذكر هذه النوادر — من بين عشرين نادرة غيرهما — على سبيل الفكاهة فقط بل لنصرح باننا نهتم بهذه الامور الصغيرة اهتماماً شديداً نعرف نتيجه . ذلك ان الكتابة لا يُرجى منها فائدة ان لم تؤثر في القارىء . ومن اول واجبات الكاتب ان يكون بينه وبين قرائه اشتراك في الافكار الى هذا الحد . وبني كانت العقول مستعدة لتأثر كهذا التأثير والنفس تذرف الدموع السخينة من اجل ولدين فاضلين كبولس وفرجيني فكيف متحققاً ان العمل الادبي — اي الاصلاح الادبي الذي هو الاصلاح الحقيقي في الارض قد بدء يحدث في داخل النفس وان انصار الفضيلة والنزاهة والمبادئ وكثيرون . ولذلك نرجو من هذه المطالعات المؤثرة المزوجة بالدموع اللطيفة من الفائدة اضعاف ما نرجوه من قراءة اي كتاب تاريخي او علمي او طبّي او فلسفي ولكننا هنا نقارق آراء القراء لننشر آراء الشعراء . فان الترمم بذكر الفضيلة يكون

نافصاً اذا لم يضع الشعراء اصحاب النفوس الحساسة بايديهم اللطيفة على هامتها العالية الكليل
بلاغتهم وثنائهم . فكانهم بلابل تغرد في كل بقعة يطيب لها فيها الماء والهواء وكل ارض
تشم فيها رائحة الطبيعة والفضيلة كما خلقها باري السماء

ونحن ننشر هذه القصائد بحسب ترتيب ورودها للادارة . فمنها قصيدة لحضرة شاعر
القرشية احمد افندي الكاشف . وقد تفضل فيها بعد ذكر القصة بذكر مشروع الجامعة
بالثناء الى حد مخجل ولكن الجامعة نشرته مع ذلك ضناً بابيائته الرقيقة التي لا يحل حذفها .
واعذب الشعر اكذبه على ما يقال

* القصة مختصرة *

لحضرة الشاعر الفاضل احمد افندي الكاشف بالقرشية

لعمرك ما استبكي عيوني واعظ	بابلغ من هذي الرواية موقعا
فقد صار معناها لقلبي آية	يذوب لذكرها جوى وتوجعا
واشفقت من بلوى حبيبين لم تنطب	حياتهما في الحب حتى تفجعا
انيسين احلى من جني الزهر منطقاً	واظهر من ظلي الخيلة مرتعا
ولو عين بالا حسان طبعاً وفطرة	اذا صنع الناس الجميل تطبعا
اذا وجدا ذا كربة جزعا له	فلم يهجعا حتى يقرّ ويهجعا
الى غير جمع الرزق لم يتفرقا	وفي غير حمد الله لم يتجمعا
فلم يعرفا الا الفضيلة مشرعاً	ولم يألفا الا البساطة منزعا
قنوعين بالرغد الذي فيه اصبحا	ولم يبغي غير الزوج مطمعا
وانهما اولى به كي يمثلا	شريكى صلاح في النعيم تمتعا
فما لبثا ان حال بينهما النوى	وما اتصل القلوب حتى نقطعا
فالف قضي غرقاً والف قضي اسى	وحين درت اماهما قضا معا
فاحزن سكان الجزيرة ما دهي	العشيرة واعتادوا البكاء المرجعا
ولم يساني الا يقيني انها	النيبت من الباري باعلى واوسعا

هدية من تدري بياجات قومها ونقدر ان نقضي له ما تطلّعا
واعلم اني سوف اعجب بعدها باغرب منها كل شهر وابدعا

اجامعة الشرق انشري فيه ما انطوى
فقد قت بالامر الذي كان ساعياً
قضى زمناً يرجو النجاة بناصر
فلو كان في وسعي جزاؤك مرضياً
رايتك اشفى ما استندت وانجعا
وقد كان قلبي خالياً من محبة
لك الحمد من حرّ ادب وشاعر
لادعو اليك الناشئين جميعهم
ودوي بهذا النهج اهدى واسرعاً
اليه فلم تبق لشكواه موضعاً
فكنت له المرجو والموقعا
وعبتك تاج المالكين المرصعا
فصرت لما تروين احرص من وعى
فاصبح معموراً بحبك مترعاً
تلقاك موفور الرضى متشيعاً
ومثلي بلبية العباد اذا دعا

* القصة كلها *

حضرة الشاعر الفاضل احمد افندي محرم بالدلتجات

اما حضرة الشاعر الفاضل احمد افندي محرم الذي ينشر شعره في مصر كانه زهر الربى
فانه آلى على نفسه ايراد حوادث القصة كلها ضناً بمعانيها فاستحق جنابه من الجامعة مضاعفة
الشكر على عنايته بكل امر مفيد، وهذه قصيدته المفيدة

كلّ النفوس الى السعادة تنزع
وارى الحديث الذّه في مسمع
ضأت مسالكها عقول جمّة
ان السعادة ليس يسطع نورها
تأبى فما تأوّبى بقصر شاهق
هل مثل فرجينى وبولس شاهد
جفت الدنان والقرى اماها
تطلبان من الطبيعة رحمة
جنتا على نفسيهما بيديهما
اولاهما الملك الجليل صنيعه
فتسأتا بهما عن الحزن الذي
وتسافتا ماء المودة صافياً
ما منهما الا غدت لكليهما
هذي تنوّلها وهذي تمنع
ما كان منه عن السعادة يسمع
ما زال يدعوها الشقاء فتنبع
الا بحيث ترى الفضائل تسطع
ويظلّ يأويها الفضاء البلقع
ام بعد هاتيك الوقائع مقنع
واقامتا حيث الخلاء الاوسع
فكأنما هي ملجأ او مفزع
لا بل جنى القدر الذي لا يدفع
طفلين كلّ للفضائل منبع
كانت تضم عليه تلك الاضلع
عذباً 'بيل' به الغليل وبتقع
امك تطيل من الخنو وتضع

شَبَّما وحبهما يشبَّ كما هما
لم يعرفنا غير العفافة والنقى
كرمت خللاهما فلم يك منهما
ملكنا عاشا في اخلاء كلاهما
جاءتهما زنجية مكروبة
رثيا لها مما اصاب واسرعا
حتى اذا اتياه بعد مشقة
ثم انثنى الفتيان يغبى منهما
جزيا بما صنعا من الخير الذي
وكذاك ما برحا على خلقيهما
ومن الطبيعة للنفوس موعد
اغتتهما حتى عن الكتب التي
اما القرون الزاهبات فقلما
وكفاهما ما نجتلي اوفاتنا
ومن الثمار عن الفصول مغزَّر
لولا البساطة والقنوع كلاهما
ولما ذكا غرس الفضائل فيهما
كانا اذا انفردا معا ذكرا الذي
شكوى ونجوى يستريح اليهما

ما بال فرجينى واين قرارها
مالي اراها تشجير بامها
صدعنها بعد التجمع فرقة
ظننت ولم ينل الفتى ما رامه
ولا كان يؤثر ان يقيم اذا ناءت
ولاى نازلة اراها تصرع
فتجيرها منها نصائح اربع (١)
وكذا العمرى كل جمع يصدع
فخاشة تدمى وعين تدمع
وتباعدت منها ومنه الاربع

(١) «وجهي نفسك الى الله يابنية وكلني اليه امرك . فمنه وحده الصحة والحياة . وهو يجربك
الآن ليكافئك غدا . ولا تنسي اننا لم نخلق على هذه الارض الا للممارسة الفضيلة »

واصابه ياس اطال عناه حين الفراق فليس منه مطمع
عانى القراءة والكتابة بعدها من اجلها واخو النهى يتذرع

ياحبذا الشيخ المعلم بولسا ولحبذا الشرع الذي هو بشرع
طاف البلاد بعيدها وقربها فمستلم من اهلها ومودع
يرتاد فيها موطناً يحبى به فاذا بها سم الحياة المنع
فاقام منفرداً بحيث خلا له جو يرى فيه السعادة تلمع
لاشيء يعجبه سوى الكتب التي يتلو او الحقل الذي هو ذرع
وافاه بولس اذ تضعض صبره يشكو من الاحزان ما يتجرع
وغدا لديه يذيع من اسراره ما ضم ذاك القواد الموجه
يفنى الرحيل عسى يتاح له الفنى والجاء والشرف الاعز الارتفاع
ليكون كفوءاً للفتاة وخالها عنه اذا حرم الفنى تتمتع
فتماء عن تلك الوسواس شينه ولواه عما كان فيه يطمع
ابني ان الجاه اصبح والفنى حيث النقائص اصبحت لتتويع
امسى الملوك بحيث يحجب نورهم غيم من الكبراء لا يتقشع
وارى اولئك لا ينالك خيرهم حتى ترى دوماً لهم نشيع
تأبى لك الشيم المواجد هذه وسواك للطمع المذمم يخضع
كم من جهابذة كبار لم يكن لهم معين منهم ومشجع
دعهم فغير النفس لا يعينهم شيء سوى الذهب الذي يستجمع
واذا اردت المال سامك امله شياً يلام لها الفنى ويقرع
فاذا استقمت فقد اصابك مخطهم واذا جنفت ركبت ما هو اشنع
لا تستعن بسوى الاله ولا تكن لسواه ان جلت همومك تنزع
الله يرضى بالصلاح وبالفنى وكفى رضاه لمن غدا يتورع
ولقد ظفرت من السعادة بالذي لم يلف ذو تاج به يتمتع
عقل كما تهوى وجسم سالم وشئائل غرّ وقلب اصمع (١)
ولئن رابت العلم خير وسيلة تدنو بها تلك الاماني التزع

فلقد اراه بحيث لا يستطيعه
ولطالما شقي العالم بعلمه
ولقلما يزع النفوس عن الاذى
ارابت كالانجيل بولس هادياً
عصفت رياح الخلف من جرائه
جرّ المظالم قبل ذاك ولم يزل
واذا النفوس استحكمت ادواؤها
لو كان ينفع ذا الهداية حكمة
ولما غدا سقراط يزهق روحه
او بيع افلاطون وهو كانه
واصيب فيثاغور بنار لم تنزل
ابني ان العلم اما مركب
انتظن ان ذوي المناصب والفني
حسب الفتي شرفا وان لقي الردى
ويكون للرجل المفجع سلوة
تبلى القرون وما يزال جديده
ابني حسبك ان هممت بصالح
لا تيا سن فليس ينعم آيس
وتسل بالكاتب التي هي سلوة

الا فتي ثبت الجنان مشيع
وغدا يصام انقه ويمدع
كتب بين بها الطريق الميع
يدعو الشعوب الى التي هي انضع
زمنًا عهدنا شره يتزع (١)
يدهي الضعيف به القوي الاضع
لم يشفها منها الدواء الانجع
لم يعن هوميروس فقر مدقع
في السجن سم ما يطاق مسلع (٢)
ما يسام الهون عبد او كع (٣)
تكوي قلوب الماجدين وتلدع
خشن جوانبه واما مصرع
يعنيهم الرجل الذكي اللوزع (٤)
سفره به يسترشد المتسكع (٥)
عما يصاب به وعما ينجع
يتلى فينعم ناظر او مسمع
بر باهلك لست عنه نفاع
واصبر فليس بحازم من يجزع
لاخي النهي ان جل خطب ازمع (٦)

فاطاع بولس شيخه وتراجعت
ونضا لاصلاح الحديقة عزمة
ويظن شمس الطهر تحمد صنعه
واقي الكتاب مبشراً برجوعها
لا در در البحر من متقلب

آمال نفس اوشكت تنصدع
كالسيف ينضي في الهياج فيقطع
ان حان من بعد الغيب المطاع
لو كانت دهر من عناد يرجع
لو انه ينهى بذاك وبوزع

- (١) تزع الشراشند ونفاهم (٢) شديد (٣) لثم
(٤) لغة في اللوزعي (٥) مشى متعسفاً متخيراً (٦) مني

بيناً يروفاك منه خلق سيجسج (١) اذراع سربك منه خلق زعزع
ارغى وازبد والسفينة فوقه حبرى واقبل موجه يتدفع
والموت يسفل بالنفوس ويعتلي ويجد في طلب الحياة وبهرع
غالب الفتاة وقد تُرى بمفازة لولا الحياء غدت به تُنقنع
صدت عن الملاح اقبل عارباً ليقلمها وكذلك من يترفع
ويسومها خلع الثياب ولم تكن لحياؤها حذر المنية تخلع
فرغت الى رب السماء وابصرت شخص الحمام فروحها تستنقع (٢)
اودى بها القدر المتاح وخالها بين التقى والموج موت هيمع (٣)
اكذا يجازى الانقياء وهكذا تردى الفضائل من بها يتدفع
اي العقول الراجحات لهذه مهما نهائى الراي لا يتزعزع
لهفي على الباكي المعفر وجهه لهفي على النفس التي تستزع
لهفي على تلك الاماني التي كانت لوامعها تغر وتخدع

* * *

باشمخ بولس والحياة كما ترى تعب وهم للنفوس ملوع
والموت خير للجميع وراحة سيان فيهم كبس او ابصع (٤)
وسعادة الراضين من دنياهم بالمال يجدم والمناصب تُفزع (٥)
لم يدركوها بالصلاح وانما بالنفس تلوم والسجية تطبع (٦)
وارى الفتاة بحيث تنعم روحها في جنة الله التي هي ابنع
عزّ الفتى ان كان يملك بعدها الا حشاشته التي تُتميع (٧)
اودى به ريب المتون ولم يكن كسري ليامن هوله او تبع
فسقت شآبيب الرضى قبريهما وجرت تساجلها الدموع الممع

(١) اسهل هادى (٢) تجتمع في فيها تخرج (٣) سريع (٤) احمق (٥) تعلى

(٦) هو من الطبع اي الدنس ومنه قول الشاعر

لا خير في طمع بدني الى طمع وباهة من قوام العيش تكفيني
وبقال طمع السيف اذا صدى قال الشاعر

يستمتع الراي وعنه غنى قد يصقل السيف ولم يطبع

(٧) تستل

* عبرة بولس وفرجيني *

مُحضرة الشاعر الفاضل الشيخ مصطفى لطفي المنلوطي

اما الشاعر الثالث الذي تفضل على الجامعة مع رصيفيه بايات بليغه في هذا الموضوع فهو شاعر مشهور في مصر . ولقد عرفه قراء الجامعة في خارج مصر من عينته التي نشرتها الجامعة في سنتها الثانية . ولقد حدثنا احد القراء القادمين من الشام ان هذه القصيدة رافت اهل العلم والنظم فيها حتى ان استاذاً كبيراً في كلية كبيرة في بيروت كان يتلوها على تلامذته في وقت الدرس ويقول لهم « هذا هو الشعر العربي المبين . ان شوقي لا ينظم احسن من هذا » واليك الآن قصيدته الفرجينية

با بني القفر سلاماً عاطراً	من بني الدنيا عليكم وثناً
وسقى العارض من اكواخكم	معهد الصدق ومهد الانقياء
كنتم خير بني الدنيا ومن	سعدوا فيها ومانوا سعداء
عشتم من فقركم في غبطة	ومن القلة في عيش رخاء
لا خصام لا مراة بينكم	لا خداع لا نفاق لا رياء
خلق برّ وقلب طاهر	مثل كأس الخمر معنى وصفاء
وفناء ثبت الحب به	وثبات الحب في الناس الوفاء
اصبحت فصنكم معتبراً	في البرايا وعزاء البوء ساء
يجنلي الناظر فيها حكمة	لم يسطرها يراع الحكماء
حكم لم تقرأوا في كتبها	غير ان طالعتمو صحف الفضاء
وكتاب الآون فيه صحف	يقراء الحكمة فيه العقلاء
ان عيش المرء في وحدته	خير عيش كافل خير هناء
فالورى شرّ وهم دائم	وشقاء ليس يحكيه شقاء
وفقير لغني حاسد	وغني يستذل الفقراء
وقوي لضعيف ظالم	وضعيف من قوي في عناء
في فضاء الارض مناءى عنهم	ونجاء منهم اي نجاه
ان عيش المرء فيهم ذلة	وحياة الذل والموت سواء
ليت فرجيني اطاعت بولساً	وانالته مناه في البقاء

ورثت للادمع اللاتي جرت
لم يكن من رائها فرقة
فارقتها لم تكن عالمة
ما لفرجيني وباريس اما
ان هذا المال كاس مزجت
لا يتال المره منه جرعة
عرضوا المجد عليها باهراً
واروها زخرف الدنيا وما
فابته وابي الحب لها
ودعاهما الشوق للفرق وما
فغدت اهاوئها طائفة
يامل الانسان ما يامله
ما لهذا الجو امسى قائماً
ما لهذا البحر اضحى مائجاً
وكان الفلك في امواجه
ولفرجيني يد مبسوطة
لهفي والماء يطفو فوقه
زهرة في الروض كانت غضة
من يراها لا يراها خلقت
ظنت البحر سماء فبوت
هكذا الدنيا وهذا منتهى
من عيون ما درت كيف البكاء
ساعة لكنه راي الفضا
ان يوم الملتقى يوم اللقاء
كان في القفر عن الدنيا غناء
فطرة الخمرة فيه بدماء
لم يكن في طيها داء عياء
يدهش الالباب حسناً ورواء
راق فيها من نعيم وثرء
نقض ما ابرمه عهد الاقاء
ضم من خير اليه وهناء
يجتاح الشوق يزجيها الرجاء
وفضاء الله في الكون وراء
ينذر الناس بويل وبلاء
كبناء شاخ فوق بناء
ريشة تحملها كف الهواء
بدعاء حين لا يجدي دعاء
هيكل الحسن وتمثال الضياء
تملاه الدنيا جمالاً وبهاء
مثل خلق الناس من طين وماء
لتباري فيه املاك السماء
كل حي ما لحي من بقا

* حقيقة فرجيني * وبينما كان القراء في اللغة العربية يلهجون باسم فرجيني
كان القراء في اللغة الفرنسية يلهجون به ايضاً . ذلك ان المسيو ادواف بريسون احد
الكتاب المجيدين في جرادة الطان بحث عن اصل هذه الرواية في فصل مخصوص فانها
عليه الرسائل من كل صوب تجلوه حقيقة . منها رسالة من فكتور بين ساردو المؤلف
المشهور ورئيس جمعية مؤلفي الروايات التمثيلية ورسالة من فرنسوي ساح في جزيرة دي

فرنس (جزيرة موريس) التي وقعت وفائع الرواية فيها . وبوء خذ من كل تلك الرسائل والمناقشات التي حدثت بشأن فرجينى بين الكاتب وبين مراسليه والتي استغرقت ثلاث مقالات في الطان كل مقالة منها نحو عمودين — ان اسم فرجينى الاصلي هو « مدموازل كايو » وكانت من اجمل فتيات الجزيرة واعقلهن فارسلنها امها الى قرية لها في فرنسا فاقامت الفتاة مدة عند قريبتها ثم عادت الى وطنها على السفينة « سان جيران » المذكورة في الرواية . وكان الربان الثاني في السفينة شاباً كريماً يُدعى « لوتشان دي مونتاندر » ومعنى « مونتاندر » قريب من معنى « عزيزي » او « فتاي اللطيف » كما ان معنى « فرجينى » مشتق من « الطهارة والعفاف » ولما وصلت السفينة الى الجزيرة جرى لها ما ذكره المؤلف بالتام . وكان مونتاندر يميل الى فرجينى فلما اشتد الخطر على السفينة بقي فيها مع الفتاة وجاءها يلتمس منها ان تتحلى ملابسها لينقذها سباحة فابت الفتاة ذلك



وفضلت الموت غرقاً مع حفظ الحياء على الحياة مع خلع الحياء . فغرت هي والفتى مونتاندر . ولا يزال في شاطئ الجزيرة مكان يُدعى « خليج القبر » الى الآن لان جثتها وجدت فيه . والمكان الذي دفنت فيه قرب الكنيسة لا يزال يُدعى « قبر فرجينى » الى اليوم ايضاً . واسم بولس وفرجينى مشهور في تلك الجزيرة حتى بين زواجها ولهم فيها قصائد وانشيد عامية بنشدونها في سهراتهم . واول ما يصنعه زائر تلك الجزيرة حين وصوله اليها طلب زيارة الاماكن التي عاش بولس وفرجينى فيها

فمن كل ما تقدم يتضح ان هذه الضوضاء التي حدثت في اللغة الفرنسية والتي اثرتنا

شيئاً منها هنا باللغة العربية لم تكن من أجل رواية جميلة فقط بل هي أيضاً من أجل تذكّار تلك الفتاة الفاضلة التي مثّلت الكمال على هذه الأرض في ساعة من ساعات حياتها: وهي الساعة الأخيرة التي وضعت يدها فيها على ملابسها حفظاً لها (كما ترى في الصورة) مفضلة الموت غرقاً على خلعها امام شاب. وبذلك لا تكون هذه القصة ترجمة تاريخية فقط بل هي اسمي مثال للطهارة في هذه الحياة. وهو ما يجب ان يدل على ان في الارض شيئاً كثيراً اثنى من هذه الحياة وما فيها من ثروة ومال وخيرات

تاريخ العلم في لبنان

محاضرة الكاتب الفاضل الشيخ شاهين الخازن اللبناني

المقالة الاولى

قلنا ورد للعلم ذكرٌ مع لبنان في كتب المؤرخين والباحثين في العصور الخالية. وقد ثقلت الامم عليه وتسابق الفاتحون اليه ولم ينل منه داهية ولا بلغ ذو غرض ايام كان العالم فيه من يحسن تهجئة الكلام اذا قرأ او رثم اسمه اذا كتب ما بلغوه فيه من الاوطار في زمن العلم والتمدن من تشبّثت اهل به وتفريق كلمتهم

وقد اشتهر اللبنانيون بالقوة والشدة والبسالة وبالغيرة على جبالهم التي كانوا يصفونها بالقدسة بياناً لشعورهم بالسعادة في الاقامة بين صخورها وحراجها. وقد نسب اليها المجد من ايام موسى بل ومن قبله ايضاً لانه تمنى الى الرب ان يري به لبنان « ثنية ص ٣ ع ٢٥ » وهذا به الانبياء غير مرة. قال اشعيا في احداها: « مجد لبنان اعطي له » وقد رددت محاسنه مزامير داود وتغنى به سليمان وتغزل به شعراء اليونان ولذّ جمالها لفلاسفتهم واكثر المؤرخون من تعديد مناقبه ووصف موافقه واتحاد اهل به ومقدرتهم وسطوتهم. اما العلم فلم ينل نصيباً وافراً من كلامهم عن تلك المفاخر

ولا اذهب في القول الى القدم البعيد لانه يخرجني عن البحث في شان العلم الى النظر في الشؤون الاخرى وانما ابدي عن عهد الرومانيين المنتصرين اذ لم يكن لبنان الحالي

في ايامهم غير مجاهل يلجأ اليها الفارون من المظالم الحريصون على الاستقلال فلم يكن في قوم ذلك شأنهم انتظام . وكانت بيروت احد ثغور لبنان اذ ذاك وكان فيها شات العلم مرفوعاً بدليل المدرسة الشرعية المشهورة فيها . الا انها لم نعتد فوائدها الى اللبنانيين لانهم ما كانوا ليبرحوا صخورهم وحراجهم ذلك المقام الممتنع العزيز خوفاً من المعندين والفتاحين . فكان العلم عندهم ما تمكن منه الفطرة شان قبائل العرب الاولى في اللغة والشعر . وقد استمرت هذه المدرسة في بيروت منذ القرن الثالث للمسيح حتى فتح العرب بلاد الشام سنة ٦٣٤ و بعد ان مرت السنون ونقلت الدول واصبح لبنان اخلاطاً من مسلمين ودروز ومسيحيين صار الحكم فيه الى الدروز والمسلمين يتنازعونه بالثورات والحروب . وكان العنصر النصراني ضعيفاً فولي عليه اناس منه دُعا « مقدمين » خاضعين للمالِك والجراسكة في بادى امرهم ثم لامراء البلاد حتى ظهرت اسر المشايخ فكان بعضها من الامراء بالدرجة الثانية . فصار المقدمون الى تدبيرهم حتى ازيلت هذه الوظيفة ولم يبق في حكم لبنان الا امراء ومشايخ . وبقي الاضطراب ناشراً غمامه على تلك الربوع من ايام المردة حتى اوائل القرن الخامس عشر اذ عدل المقدّمون باحكامهم واتسع نطاق ولايتهم فعزّ مقام الامن والراحة فانصرف القوم الى الدرس والتعلم . وكانت لغتهم العربية وبقيت بقية من السريانية حتى القرن السابع عشر لا سيما في شمالي لبنان وكانوا يكتبون العربية بالحرف السرياني ودعوا هذا النوع من الكتابة كرشونيا ولم نزل الكرشونية شائعة بين الموارنة الى اليوم . وكان العلم كله يكتب بالنسخ وقد اتصل بالعلامة الدويهي الشهير ما يربو على مائة كتاب من تلك المؤلفات المخطوطة واكثرها لم يزل محفوظاً في مكاتب لبنانية قديمة . واذ كنت يوماً في احداها اقلب بعض تلك الكتب رايت منها ما هو في علم الهيئة ومنها ما هو في علم الفراسة وغير ذلك وجله مكتوب بالكرشونية . ومن اولئك الكتبة عدد كبير يغفلون اسماءهم اما لانهم نسخا غير واضعين واما لانهم جامعون وهم على غير ثقة مما دونوه واما لغبر هذا من الاسباب التي ليس من شان بحثنا هذا استقصاؤها . وامتد العلم بامتداد الامن حتى بلغ كسروان واما الجهة الجنوبية فكان معظم سكانها من الدروز وكان حكامها منهم ايضاً . ولم تخمد فيها الفتن والحروب الداخلية حتى زمن الامراء الشهابيين فنالت الراحة فسقط هناك وسرت روح التعليم الذي ظل مقصوراً على درس مبادىء اللغة العربية واسرار الدين مدات طويلة

ولما قوي العنصر النصراني واشتد واصبح من في لبنان منه ذوي وطن هناك صار الحكم

اليه بالطريق الطبيعية واستفاق العلم أكثر حينئذ من سباته الطويل لالتهاء القوم قبل ذلك
بأبواب القدم واستخلاء الجو ومعلوم أن لا سبيل للعلم مع القلاقل والشورور
قلت استفاق العلم ولكنني ادعوه كذلك ولو لم يكن منه في تلك الايام غير القراءة
والكتابة البسيطتين لان شيوعهما في لبنان حدا ببعض افراده الى طلب العلم من مصادره في
غير لبنان فنبغ السمعاني الشهير الذي طبق ذكره الغرب والشرق وتأليفه الكثيرة حجة
للباحثين والعلماء الى هذه الايام . ويكتفي علماء الغرب اثباتاً لاجتاهم بان يستشهدوا كتب
السمعاني . وان كانت جبهة قطعت عند العرب قول كل خطيب فلا حجة لشرقي ولا لغربي
بعد ان يقال « قال السمعاني » . ثم ظهر اليازجي فاحي الاوائل وتفرد عنهم بما دعا الى
القول انه العلامة الذي لن ترى العربية له ندّاً . ولكن هذين التابعتين لم يتلقيا العلم في
لبنان بل طلبه الاول في بلاد الغرب والثاني ملك زمامه باجتهاده وقبض عنانه بكده .
وكان لبنان اصغر من ان يحويهما فلازم السمعاني رومه واليازجي بيروت اذ لم يكن الزمان
يسعف لهما على مدّة رواق العلم فيه

اما النساك القدماء في شمالي لبنان فلم يفيدوا شيئاً من جهة العلم وانما كانوا كؤوسيين
للجماعات الرهبانية على مبداء اعتزال الدنيا والناس في المغاور والصوامع وسط البراري والحراج
تعبداً وقنوتاً

وقد ظهر في كل وقت علماء لبنانيون دوى ذكرهم في الشرق والغرب ولكنهم افراد
افراد تلقوا علومهم في غير لبنان كالعالمين المشار اليهما اذ لم يكن فيه غير كتابات
معدودة اخذت تعم القرى كما ساد الامان واستتب المقام . وهي الى يومنا هذا مع انها
تكاد لا تخلو قرية من واحدة منها على مبداءها الاول لا تعلم غير مبادئ القراءة والخط
العريين . وازداد اليها الموارنة مبادئ السريانية والدروز اسرار الدين في الخلوات .
هكذا كان نمط التعلم والتعليم حتى انشئت المدارس كما سيأتي

وقبل الكلام عليها لا بد من التنويه بما على لبنان من التكريم الدائم وبما نتحرك به
افئدة ابنائه من الاحترام والشكر لذكر المطران جرمانوس فرحات الحلبي الذي ادخل اليه
علوم اللغة العربية وهذب خدام الكنائس بما وضعه من التأليف الجليلة وما صنعه من الاصلاح
في الشؤون البيعية من جهة اللغة خصوصاً

وكانت قد انشئت مدرسة في لبنان سنة ١٦٣٥ باتفاق النصارى تابعي المذهب
الروماني مع الكرسي الرسولي ولكن الحوادث طمعتها فغابت عيناً وانثرا حتى ندر من ذكر

مكانها من المؤرخين فلم ينيء عارف بتاريخ لبنان عن احده من تلامذتها ولا من متولي شؤنها ادارة وتعليماً

واول مدرسة احدثت بعد ذلك هي مدرسة عينطورا سكنها الآباء اليسوعيون اولاً سنة ١٦٥٢ واتفق على ان تكون مدرسة سلمت اليهم ادارتها مع مدرسة مثلها في زغرنا سنة ١٧٣٥ الا ان الثانية لم تقم طويلاً وبقيت عينطورا في خطتها المقررة حتى الغيت الرهبانية اليسوعية فعهد بالمدرسة الى الجمعية اللعازرية بنفس الشروط التي كانت على اليسوعيين منها ان يقبلوا عدداً معيناً في سلك الطلبة من الملة التي صدر عنها هذا الخير العظيم فيتلقوا علومهم الى النهاية بلامقابل ولما ابى اللعازريون اولاً قبول بعضها نزع منهم المدرسة ثلاث مرات حتى تعهدوا اخيراً بان يقوموا بعموم الشروط ووقعوا بتعهدهم صكوكاً لم يزل احدها محفوظاً وقد نوه به صاحب تاريخ المقاطعة الكسروانية الفاضل

وقد خدمت هذه المدرسة لبنان وسوريا خدمات جلى وكفى بها فخراً انها جرثومة انتشار اللغة الفرنسية فيها وامتد الاحتياج اليها حتى مصر ولم يزل طلابها المصريون يعدون بالعشرات كل سنة تقريباً. وانشأت في البلاد رجالاتاً خرجوا منها كأهم خارجيون من مدرسة في وسط باريس يعدون مدن فرنسا وبلادها ومستعمراتها حتى آخر قرية منها ويصورون عادات الفرنسيين واخلقهم ادق تصوير ويسردون تاريخ فرنسا من اول ظهورها في الوجود الى اليوم مع الاسر التي حكمتها ومن تولاها من الامراء والملوك مع تاريخ كل ملك منهم وكل شهير فرنسي حتى انهم يروون اقوالهم وبعدون خطواتهم كأنهم رافقوا كل واحد منهم. ولكن سل المصري الذي ربي في مدرسة عينطورا اين هي عينطورا فاما انه يجيبك هي في سوريا وحسب واما انه لا يعرف غير اسم عينطورا من تاريخ تلك البلاد الشرقية ومن جغرافيتها مع كل علمه الواسع ولا يعرف شيئاً عن لبنان الذي هي فيه على الاقل . وسله عن تاريخ المدرسة التي نشأ فيها يسرده لك منذ استلمها اللعازريون المرة الاخيرة مع كلمة اخرى هي : « كانت قبلاً لليسوعيين » اما الباني والمؤسس المحسن فلا يعرفه لانه لم يذكر له الا انه لو كان فرنسياً لكان رأى تمثاله منصوباً في اعز مكان في المدرسة وتجيده وتسيبجه اساس كل تعليم فيها . وهذا مثال من الوطنية الحقبة بعلمونا اياه ونحن لا نتعلمه بل تبقى الوطنية لفظة اجنبية عنا لا نألفها ولا نفقه لها معنى . وليس اللبناني الذي تعلم فيها باوسع اطلاعاً من المصري بشؤون بلاده ومسقط رأسه .

وبعد ذلك لما عادت الرهبانية اليسوعية الى الوجود انشأت مدرسة في غزير فافت

مدرسة عينطورا شهرة واهمية الا ان اصحابها لما راوا ان الخبير العظيم الذي ينوونه بها لسور يالا يتم في قرية صغيرة نقلوا المدرسة الى مدينة بيروت حيث تمكنوا من توسيعها وتكبيرها حتى جعلوها كلية كبرى . ولا يزالون يجدون في جعلها جامعة شتات العلوم والفنون والصنائع كاملة الفوائد الحقيقية التي تحتاجها البلاد . وابقوا مدرسة عزيزا ككليريكية ينشئون فيها المبتدئين في رهبانيتهم ولهم مدرسة في بكفيا تخرج الاحداث على آداب اللغتين العربية والافرنسية ومدرسة اخرى في الشياح تابعة للكلية

وسنة ١٧٨٩ جعل دير عين ورفا في قرية غوسطا احدي قرى كسروان مدرسة بطريركية اكلييريكية لانشاء رجال الدين واهم علومها تلتى باللغة العربية التي احيتها هناك برجال فصرفوا حياتهم على البحث فيها والاشتغال بها . فكان لبنان بهم وبالدارسين عايمهم سوق عكاظ . وقد نبغ منها ايضا من رجال الدنيا من شرفوا لبنان لدى العالم المتمدن في القرن الماضي بموهباتهم الكثيرة وموضوعاتهم الجليلة كالشيخ احمد فارس الشدياق الشهير الذي لم يشق له غبار في ميدان اللغة وقد اثرت بجاسوسه على القاموس وجوائبه وسائر مبتكراته المشهورة . وكالمعلم بطرس البستاني الذي ادخل فيها من الفنون ما بقل في جنبه الوصف والاطناب وان لم يكن من فضله عليها غير دائرة المعارف لكفى ذكره تخليدا . ولكنه لم يرض بهذه الخدمة وحدها بل الف سواها ايضا كمحيط المحيط وقطر المحيط وغير ذلك وانشاء مدرسة في بيروت لم يزل مخرجوها الى اليوم من خبرة الادباء . وعاون الدكتور فان ديك الفيلسوف الشهير على تاسيس مدرسة عبيه الانجيلية في لبنان . ومن تلامذته عين ورفا المعدودين من النوابغ ايضا الكونت رشيد الدحداح الذي نظر الى بعض من اهم كتب العرب المطموسة فنشرها وله على بعضها حواش وزادات . وقد وضع كتباً جليلة هي من الابتكار في مكان رفيع ولا تنسى الصحافة العربية بدا له عليها ايضا ولم يزل برجيس باريس يرن صدها في اذهان المؤلفين باللغة الى اليوم .

وسنة ١٨١٢ انشئت مدرسة ماربوخا مارون في كفرحي من اعمال البترون وكانت اولاً على نمط عين ورفا ثم توسع في قانونها فاضحت عمومية في محلها تقبل الطلاب بالاجرة كالمدراس الاخرى عدا الصفوف الاكلييريكية التي احتفظت بدوام تنظيمها ايضا

وسنة ١٨١٧ فتحت ابواب مدرسة الرومية في القليعات من اعمال كسروان لطلاب العلوم الدينية كمين ورفا معاً يتبعها من سائر العلوم باللغة العربية

وسنة ١٨٣٠ انشئت مدرسة مار عبدا هرريا في عرامون كسروان وهي بطريكية
ايضا بارت عين ورفا بنجاحها ومن تلامذتها علماء وكتبة وشعراء مبرزون
وسنة ١٨٣٢ فتح دير مار سركيس في ريفون لقبول الطلبة الاكبريكين بعد ان
كان دبرا رهبانيا

والمدارس المذكورة كلها بطريكية كما تقدم ولغتها العربية وتعلم معها بالمقام الثاني
اللاتينية وضيفت اليوم الى نظام بعضها الفرنسية ايضا نظرا للحاجة اليها . وقد انشئت
مدارس اكبريكية صغيرة غير المدارس الكبرى المسرودة جعلت في كراسي اكثر اساففة
الارشيات ضمها اثنان منهم الى مدارس كبرى عمومية كما سيأتي في محله

ومن الانشاءات الجليلة في لبنان جمعية المرسلين اللبنانيين وكانت صائرة الى اللغو حتى
قام سيد علامة جليل خائف له ما اثر تحيي ذكره مكرما وهو المطران يوحنا حبيب فهب الى
تجديدها على نمط الرسالات الاوربية واعدها لنشر العلم والفضيلة ونظم لها قانونا افرغ فيه
كثانة ذكائه وحكمته وقد شهد له الاوربيون انفسهم بنفده وكان لهذا الخبر الجليل
الابر تفضلع نادر من اللغة العربية بجميع فروعها وفنونها وكان فقيها عظيما تولى القضاء في
لبنان مدة طويلة وجمعيته لم تنزل سائرة في طريق النمو والفلاح وبوء مل انها اذا ظلت في
تقدمها تغني البلاد في مقلب الايام عن الرسالات الاجنبية التي وضعت للعلم اساسه المبكّن
بين ظهرانينا

ومن المدارس الاكبريكية مدرسة عين تراز التي يهتم بطاركة الروم الكاثوليك
باعلاء شأنها وتوسيع دائرة علومها حتى تباري المدارس الكبرى في لبنان وهي هناك مقرم
الصيفي المعتاد

وانشاءت منذ سنتين بطريكية الشام الارثوذكسية مدرسة جديدة في دير التلند
لتخريج المبتدئين في الكهنوت

اما المدارس الادبية فاقدمها فيما اظن مدرسة المحبة الاخوية في عرامون اسسها كاهن
فاضل مجتهد هو الخوري جبرائيل شباط بعد اسفار طويلة تجشمها في سبيل انشاءها والمدرسة
الداوودية في عبيه عني باحداثها منصرف لبنان الاول داوود باشا صاحب الذكر المجيد
لتهذيب الشبيبة الدرزية وهي المدرسة الوحيدة التي ترافقها الحكومة اللبنانية الا انها الى
الآن لم تفلح لعدم اعتناء حكومة لبنان في الماضي بامر العلم . وقد علمت ان ذا الدولة
مظفر باشا منصرف لبنان الجديد صارف الى ضبطها ونجاحها عناية مشكورة . ثم نشأت

مدرسة القديس لويس في غزير بال رجل يستحق ان يحمله اللبنانيون في مصاف منفرد به وقامت بهيمته العالية . الا وهو الخوري لويس زوين الذي مات شهيد الجد والنشاط والوطنية . وكان عالماً فاضلاً له انشاءات طيبة اجلها الصرح العلمي المذكور الذي خلفه لافادة ابناء الوطن

ثم احدثت مدرسة القديس يوسف اللبنانية في قرنة شهوان كرمي اسقفية قبرص من قضاء المثن وجعلت معلقة بعناية مطران الابرشية وضمّت اليها المدرسة الاكليريكية الصغرى كما جعل من قبلها سيادة المطران يوسف الدبس مدرسة عين سعادة ضمن مدرسة الحكمة الشهيرة في بيروت

ومن المدارس الاهلية الحية مدرسة مارمخائيل القرن وهي لم نزل صغيرة لقرب عهدها في الوجود

اما التي اقلت ابوابها فمنها مدرسة القديس بطرس في مدينة جبيل انشأها رجل عرف بالجد والنشاط ولكن الحظ عاداه حتى المات وهو المرحوم بطرس شحاده فلم تحي المدرسة بعده

ومنها مدرسة القديس نيقولاوس في عريه عرامون جعلها مؤسسها المطران نيقولاوس مراد تابعة الكرسي الرسولي الروماني راساً فسيطر عليه افاقاده الرسولي في سوريا الا انها فتحت للعلم بعد واقفها بازمان طويلة وما لبثت حتى اقلت ولم يزل اصحابها يسعون لاعادتها الى انشاء الشبيبة اللبنانية على ما يقتضيه عصرنا من الرسوخ في الاداب والعلوم الصحيحة ومنها مدرسة كفتين في قضاء الكورة عني بتأسيسها عدد من الافاضل اصحاب الهمة والغيرة الوطنية اخص منهم بالذكر المرحوم اسكندر كسثفليس عرفته بشهرته علماً وفضلاً واقداماً وقد افادت هذه المدرسة لبنان فوائدها جلي واخرجت للوطن رجال فضل وادب . الا انها اقلت فعملت جيد الوطن منها وقد كانت حلية فيه يفاخر غيره بامثالها . وكان قد اعادها سيادة مطران الابرشية الارثوذكسي الى ميدان التعليم والتهديب ولكنها اوقفت بعد شوط قصير وهي لم نزل مقفلة على اسف من الشعب . ولا يقنط العقلاء من الرجاء بانها ستعود بهمة من يعينهم شانها الى بهائنا السابق

ومن المدارس الاجنبية مدرسة الاباء الكوشيين في صليبا ومدرسة الاباء الكرمليين في بشرى ومدرستا الاخوة المريميين الخارجيتان في جونية ومدرستهم الداخلية في عشقوت اما هذه فقد استقدمهم سيادة المطران بولس مسعد رئيس اساقفة دمشق لانشائها في الدار

التي اعدتها عائلته لهذا الغرض الشريف وجعل هو قيماً عليها والهمة بمذولة بانجاحها لخطو في سبيل التقدم والاتساع خطواً سريعاً فتباري مدرسة عينطورا التي ضافت على رحبها عن عدد مهم من الطلاب .

ولم تفني المدرسة الشرقية في مدينة زحلة الا انني احببت ان اجعل لها مقاماً مخصوصاً بالذكر توجيهاً للانتباه اليها وفيما بما يجب لها من الاعتبار وما تقتضيه الوطنية من الاهتمام بامثالها فانها المدرسة الوحيدة الوطنية التي قامت بادارة جمعية كبيرة شرقية متينة البنيان ثابتة الاركان وقد عنيت بموافقة قانونها التعليمي لحاجات الوطن وقد جعلتها الرهبانية التي انشأتها غير مخصوصة بجملة دون اخرى ولا تفريق لديها في المذاهب ودروسها منطبقه على المطالب الوطنية وقد جاهر مديرها بهذا المبدأ الحميد . فاذا ظلت ناجحة هذا المنهج القويم نشأ فيها ابناؤه الوطن اخواناً متحابين متعاضدين وهي الواسطة الوحيدة لنجاح البلاد . ولا خوف عليها من الحبوط في المسعى لانها ليست من اوضاع فرد يستقل بها فتجني بجمياته وتموت بموته وانما هي بادارة رهبانية كبيرة ثابتة تبقى ببقائها وتنجح باعتنائها . فلا يوءثر بها تغيير الرؤساء وتبديل الاسانذة

وعلى هذا النمط يقضي الوطن مدارس عمومية لا تفعل بها شوهون فرد ولا تنال منها اغراض خصوصية

اما مدارس البنات الكبيرة فليست بكثيرة في لبنان والذي اعرفه منها : مدرسة راهبات الزبارة في عينطورا ومدرسة راهبات روح القدس في عبرين وكلتاها ناجحة نجاحاً اكيداً الاولى بهمة حضرة الاب الخوري يوسف صفير والثانية بعناية غبطة بطريرك الموارنة الحالي وهي من اوضاعه قبل ان يرثي الى السدة البطريركية . والثالثة مدرسة راهبات المحبة في زوق ميكائيل وفي برمانا مدرسة لهازورية ايضاً . وقد انشأت للبنات والصبية مدارس اخرى في دير القمر وشرتون ورشما وبعبدات ودوما والشو بروغيرها من وطنية واجنبية

وفي هذا الوقت كثرت مدارس الاميركان والروس في جنوبي لبنان وشماله تعني الاولى بنشر اللغة الانكليزية والثانية الروسية . اما سائر المدارس التي وصفتها فانها تدرس الفرنسية بالمقام الاول ثم العربية الا الاهلية منها فاللغتان المذكورتان لديها في مقام واحد ولكنها سائرة على نظام المدارس الاجنبية فلا يعرف تخرجوها شيئاً من مقتضيات بلادهم .

اما مدارس الاميركان فمنها مدرسة الشوير التابعة لكلية بيروت وقد تخرج فيها علماء افاضل وادباء مشهود لهم . ومدرستا شملاه المذكور والاناث ومدرسة سوق الغرب ومدرسة الشويقات للفتيان والفتيات ومدرسة عينعنوب للبنات ومدرسة برمانا للجنسين ايضاً ومن مدارس الروس مدرسة سوق الغرب ومدرسة بسكنتا في الجنوب ومدرسة كسبا ومدرسة اميون في الشمال واكثرها قسماً لتعليم الفتيان والفتيات

وفي لبنان مدارس اخرى ايضاً ولكنها لا تفيد ابناءه شيئاً لانها جعلت خصيصة بافادة غيرهم : اولاهم مدرسة دير بزمافانها موقوفة على طائفة الارمن ليهذبوا فيها رجال الكهنوت عندهم . وثانيتهما مدرسة الشرفة وهي بطريكية لطائفة السريان بنشأ فيها الاكابر يكيون من ابنائها . والثالثة مدرسة ماراشعيا للرهبان الانطونيين والرابعة مدرسة فيطرون للرهبان الحلبين والخامسة مدرسة نسبته وهي ولئن كانت للرهبان اللبنانيين الا انها خصّصت بتعليم احداث الرهبانية دون سواها . ومعلوم ان الرهبان عندنا لم يكونوا لافادة الشعب والوطن وانما قانونهم التبع لله منفردين منعزلين عن العالم وما فيه

هذه هي مدارس لبنان التي انتهت الى علمي ولعل هناك مدارس اخرى لم تحضرني اسماءها . وكلها تعلم العلوم الادبية الكاملة مع الفلسفة الدينية في المدارس الاكاديمية ولكن لا اثر هناك للعلوم الرياضية والفنية والصناعية والزراعية الا مبادئ الرياضة في عيظورها وفي المدارس الاميركية فانها تعلم منها بقدر ما يوهل الطالب لنيل الشهادة الثانوية . ولا اثر ايضاً في لبنان كله للغة العثمانية وهي لغة الدولة الرسمية اللهم الا في لوائح المدارس فانها مذكورة مع العلوم واللغات التي لا تعلم ما لم يكن لها طلاب اخصاء يقومون بنفقة استاذ يستقدم لهذا الغرض . مع ان لبنان ليس بغني عن الدولة العلية . وانتفاء لغتها من لبنان من جملة ما يضيق على اللبنانيين مجال الترقى في مناصبها ما خلا افراداً معدودين .

الحروب البحرية المقبلة

✽ الدارعة والغواصة ✽

(داوود وجليات)

يقال مثلاً (ان هذه المحاربة كمحاربة داوود وجليات) كناية عن صغير يقوى على كبير . والحرب بين الدارعة والغواصة من هذا القبيل . وليس المراد في هذا الفصل ذكر الغواصات ووظيفتها وتاريخها فقد ذكرنا ذلك في السنة الاولى . وانما المراد تمثيل واقعة حرية على الورق بين الغواصة والدارعة على سبيل الفكاهة ليطلع القارئ على شيء من شؤء هذه الحرب الجديدة التي ستكون اهم حرب في الحروب المستقبلية ابعداها الله

واول ما نرسمه له الدارعة الكبيرة (الرسم الاول) والدارعة التي نرسمها هنا هي الدارعة الفرنسية « شارلمان » . اما الغواصة التي نرسمها (الرسم الثاني) فهي الغواصة الفرنسية « الفرنسي » . وقد انشأتهما جريدة الماتين الفرنسية على نفقتها اي انها جمعت نفقاتها من قرائها واهدتها الى وزارة البحرية لانشاءها بها

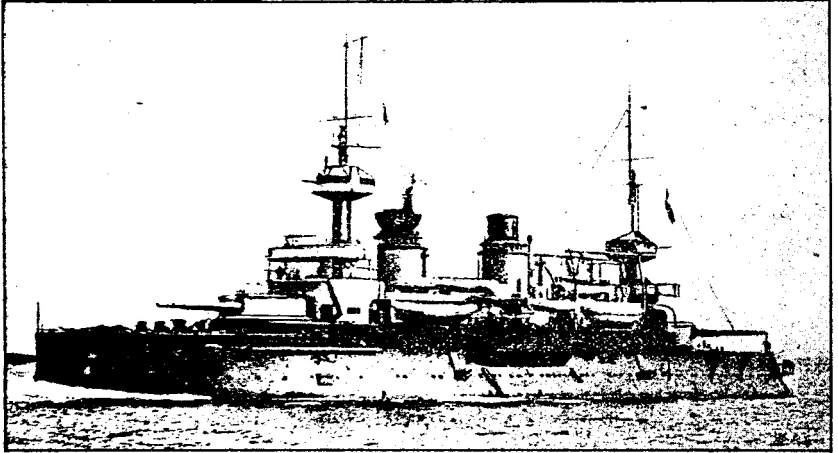
وفي (الرسم الثالث) صورة الغواصة في فعر البحر وهي تطلق النور منها لتنير طريقها . وفوقها الدوارع على سطح البحر تحسب لها حساباً وهي لا تدري بها . فلما تشاهدها الغواصة تخفت اليها وتطلق عليها توربيداً . فاذا اخطأتهما ولم تصبها حدث ما تراه في (الرسم الرابع)

اي ارتفع جبل من الماء في البحر من فعل التوربيد . وحينئذ اما ان تفر الدارعة من وجه الغواصة راضية من الغنيمة بالاياب واما ان تهاجمها . وهي تهاجمها باطلاقها التوربيد عليها كما ترى في (الرسم الخامس) ولكن الدارعة فلما تعلم بمكان الغواصة لاستئثار هذه في اعماق البحر ولذلك لا يصيبها طوربيدها فتنبج الغواصة من هذا التوربيد وتعود الى مهاجمتها . ولكنها في هذه المرة تصيب الدارعة بطوربيدها فيحدث حينئذ ما تراه في (الرسم السادس) اي ان الدارعة لتحطم وتغرق من فعل عدوتها . وبذلك يتغلب العلم

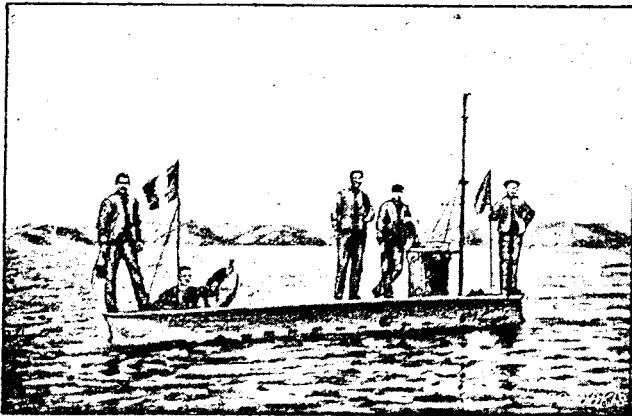
على الطبيعة والضعف على القوة

لذلك يقول العارفون انه اذا انقمت الغواصات هذا الاثنان غيرت موازنة الدول وبدلت نظام الحروب البحرية . وسيكون عند فرنسا بعد سنتين خمسون غواصة من هذه

الفواصات المنقنة المستعدة • والفرنسيون يسمون « الفواصة » « المنقمة » كما ترى في الرسم الثالث لانهم يرون انها تمكنهم من مقاتلة انكائرا في البحر دون ان يخافوا بطش اساطيلها الهائلة



« الرسم الاول » الدارعة شارلمان الفرنسية



« الرسم الثاني » غواصة « الفرنسي » التي انشأتها جريدة الماتين الفرنسية

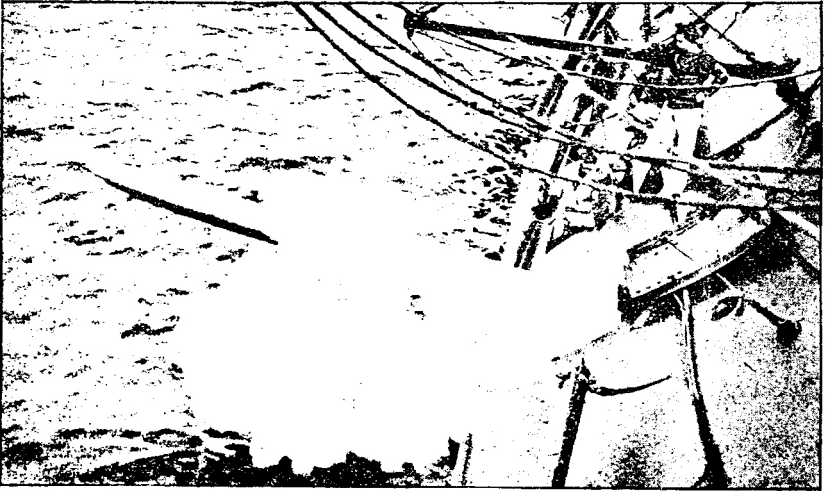


« الرسم الثالث » غواصة في قلب البحر وفوقها الدوارع

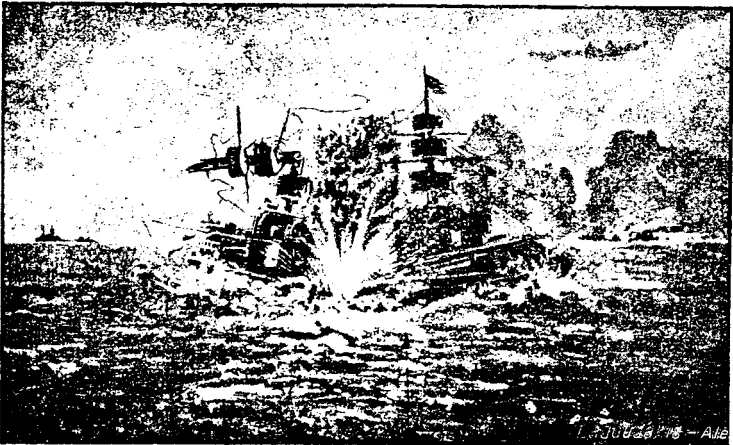


« الرسم الرابع »

ثورة البحر من توريد غواصة



« الرسم الخامس » الدارعة تطلق توربيدها على غواصة



« الرسم السادس » غواصة نصيب الدارعة ونقلها

تاريخ الرسل بعد المسيح

✽ ملخص مما كتبه الفيلسوف رنان ✽

تابع لما قبله

« السنة ٣٥ للميلاد »

اول الداخلين في الطائفة الجديدة

وكان في مقدمة المنضمين الى الطائفة الجديدة رجل من قبرص يُدعى (يوسف اللاوي) فباع هذا الرجل حقوله كما كان يصنع جميع المنضمين الى الطائفة ودفع ثمنه الى الرسل الاثني عشر. وكان يوسف نبيهاً مخلصاً طاق اللسان فقر به الرسل اليهم ودعوه «برنابا» اي «ابن النبوة» لانهم عدوه في جملة الانبياء اي الوعاظ الممثلين بالروح القدس. وسيرد في ما يلي ما يكون لهذا الرجل من المنزلة العليا في الطائفة. فانه سيكون بعد الرسول بولس هو المرسل الاكثر نشاطاً في الدعوة

وفي الوقت ذاته دخل معه في الطائفة رجل آخر من ابناء وطنه القبرصيين يُدعى منازلون لان اليهود كانوا كثيري الانتشار في قبرص في ذلك الزمان. وقد انضم الى الطائفة ايضا في ذلك الحين رجل يُدعى يوحنا وهو الملقب باللقب الروماني «مرقص». وكان ابن عم برنابا الذي تقدم ذكره. وكان له ام ذات يسار وسعة فانضمت الى الطائفة افتداءً بابنها وكان التلامذة يجتمعون مراراً في منزلها. وربما كان بطرس هو السبب في ادخال هذه الام وابنها في الطائفة الجديدة لانه كان صديقاً لها. وقد خدمت الطائفة بذلك خدمة عظيمة لان مرقس هذا سواء كان هو الذي كتب الانجيل المنسوب اليه او لم يكن هو الذي كتبه فانه كان ذا منزلة عليا في الطائفة لانه صار بعد ذلك رفيق بولس و برنابا في سفرهما في اقطار الارض للدعوة. وربما رافق بطرس ايضا

وهكذا اكتسبت الطائفة بسرعة شديدة في سنتين او ثلاث سنوات اشهر رجال القرن الاول قرن الدعوة والبشارة. فاجتمع حول الرسل جيل جديد يشبه الجيل الذي اجتمع حول المسيح قبل ذلك على شواطئ طبريا. ولكن سلطة الجيل الاول اي جيل الرسل كانت اكبر من سلطتهم لان الجيل الجديد لم يشاهد المسيح ولا حادثه. ولكن اذا كانت سلطة الجيل الاول اعظم من سلطة الجيل الثاني فان الجيل الثاني كان الفاعل

الافوى والاعظم في نشر المبادئ المسيحية لانه كان ذا ميل الى الاسفار البعيدة لاعتياده عليها

ومن انضموا الى الطائفة في هذا الحين رجل يدعى استفانوس وكان رجلاً شديداً الحماس والنشاط . وكذلك فيليبوس واندرونيكوس وجونيا . وكان هذان الاخيران زوجين عاشين في وسط الطائفة لينقطعوا الى الدعوة والبشارة

اليهود العبرانيون واليهود اليونانيون

وكل هؤلاء المنضمين الى الطائفة كانوا من اليهود . ولكنهم كانوا فريقين . فريق من يهود فلسطين وهم الذين كانوا يتكلمون اللغة العبرانية والارامية وقرأون التوراة باللغة العبرانية الاصلية . وفريق من اليهود « اليونانيين » اي الذين يتكلمون باللغة اليونانية وقرأون التوراة بها . وكان هذا الفريق فريقين ايضاً . فنه فريق من دم يهودي ومنه فريق من دم اجنبي ولكنه انضم الى اليهود . وكان اليهود اليونانيون يفدون بالاكثثر من اسيا الصغرى او مصر او سوريا . وكانوا يسكنون اورشليم في احياء مخصوصة بهم ولم معابد مخصوصة يصلون بها ولا يختلطون بغيرهم من اليهود . فكانهم طائفة منفصلة عن الامة اليهودية . وكان في اورشليم عدد كثير من هذه المعابد الخاصة باليهود اليونانيين . وفيها وجد المسيح طريقاً مهيمة لوعظه وتعليمه . لان هؤلاء اليهود كانوا اقل تمسكاً بتقاليدهم من اليهود الاصليين

لغة المسيح والمسيحيين الاولين

فكل النواة الاصلية التي اجتمعت الطائفة المسيحية حولها بعد ذلك انما كانت مؤلفة من اليهود دون سواهم . وكانت لغتهم اللغة الارامية التي كانت لغة المسيح ايضاً . ولكن لم تمر سنتان او ثلاث على صلب المسيح حتى اخذت اللغة اليونانية تظهر في الطائفة كما رايت شيئاً فشيئاً الى ان يجيئ ذلك اليوم الذي تصير فيه اللغة اليونانية اللغة الغالبة فيها . وكان بطرس وبوحنا ويعقوب ويهوذا صلات يومية مع ابناء الطائفة اليونانيين ولذلك لزم ان يتعلموا منهم هذه اللغة بالتدريج لينفاهموا بها . وقد حدث حادث سنشير اليه في ما يلي فادي الى شيء من الانقسام في الطائفة بشأن اختلاف اللغة وهذا يدل على ان الصلات بين الفريقين لم تكن دائماً على غاية ما يرام . وسنرى بعد خراب اورشليم ان « العبرانيين »

اي المسيحيين الذين يتكلمون العبرانية يفصلون عن الكنيسة وبذهبون الى ما وراء نهر الاردن على اعالي بحيرة طبرية ويؤلفون هنالك طائفة منفردة . ولكن قبل هذين الحادثين لا دليل على انه حدث في الطائفة شقاق او انقسام بشأن اللغة . فان الشرقيين مشهورون بسرعة تعلم اللغات . وربما تكلم الواحد منهم في المدن بلغتين او ثلاث . ولذلك نرى من المحتمل ان يكون الرسل الذين كان لهم تاثير ونشاط في الدعوة قد تلقوا اللغة اليونانية من علاقاتهم اليومية مع ابناء طائفتهم من اليونانيين . حتى اذا كثر عدد هؤلاء وصاروا الاكثرية في الطائفة عدل الرسل عن اللغة السريانية الكلدانية الى اللغة اليونانية . خصوصاً لانهم كانوا يفكرون في نشر دعوتهم في انفسار الارض . وذلك لا يتم الا باللغة اليونانية . لان هذه اللغة كانت يومئذ اللغة العامة في شواطئ البحر المتوسط الشرقية ولغة جميع اليهود المنتشرين في الامبراطورية الرومانية . وكان اليهود مشهورين يومئذ بسرعة تعلم اللغات التي يحتاجون اليها كما هم مشهورون به اليوم ايضاً . ولم يكونوا يعباءون بتتقية تلك اللغة او تصحيحها اذ المقصود التفاهم بها فقط ولذلك كانت اللغة اليونانية التي استعملتها المسيحية لغة ضعيفة

المنضمون اكثرهم من اليونانيين

ولما كثر المنضمون الى الطائفة الجديدة كان اكثرهم من اليهود اليونانيين . لان اليهود الاصليين وخصوصاً سكان اورشليم كانوا لا يميلون الى مذهب جديد وارد من الافايم (الناصرة) وكانت منزلة الطائفة الجديدة من التقاليد اليهودية في بدء الامر منزلة مبهمة كما كانت منزلة السيد المسيح منها . ولكن مع ذلك لم يكن لرجال الطائفة من العلاقة بتلك التقاليد الا من حيث ظاهر الامور وخارجها . فان التقاليد اليهودية مصدرها التلمود واما الطائفة المسيحية فمصدرها خارج عنه . ولذلك كان الافبال عليها محصوراً على الاكثر في اليهود اليونانيين . فكأن هؤلاء اليونانيين الذين كانوا في اورشليم محسوبين احطاً شائعاً من العبرانيين الاصليين راوا في انضمامهم الى الطائفة الجديدة ضرباً من ضرب الاخذ بالنار من العبرانيين الذين كانوا يترفعون عنهم . وما برحت الاحزاب الضعيفة التي هي في اول نشأتها اكثر الاحزاب تركاً للتقاليد وميلاً للشيء الجديد . لانها لا تقهر شيئاً فيه

وكان هؤلاء اليهود اليونانيون ممتازين بالبساطة والجهل مع الايمان . اما اليهود

العبرانيون فان الصدوقيين منهم كانوا من المشككين والمترابين في مذهبهم والفريسيون كانوا شديدين فيه لا يتخلون عن شيء منه . ولذلك ايضا فلما انضموا الى الطائفة من هؤلاء (العبرانيين) وكثر من اولئك (اليونانيين) هذا فضلاً عن ان اليونانيين كانوا لا يشاركون العبرانيين في الخبرات والاموال التي كانت تنهل على الهيكل وعلى رجاله . ومن اجل هذا كانت حالتهم الاقتصادية ضعيفة جداً . وهنا نصل الى موضوع خطير في المسيحية وهو « الاشتراكية » وسيظهر في ما يلي ان هذه هي الدعامة القوية التي بنت عليها الطائفة مستقبلها ووطدت اساسها

احتياج الشرق الى القوى الادبية

مثال من مجلة

لصديق من اصدقاء الجامعة الكرام

ارجح ان الجامعة لا بد لها من ان ترد على مجلة المنار التي اخذت تفكري عليها باكاذيب ما انزل الله بها من سلطان . اما انا فلا ادخل في هذا الموضوع لثلاث اسباب طفيلية ولكني اريد ان استنتج منه نتيجة يجب ذكرها . وهذه النتيجة هي ان الشرق مهما صرخ المتصدرون فيه ومهما عرّضوا دعوام وكبروا مزاعمهم فانه لا يزال يحتاج الى القوى الادبية الحقيقية و ينتظر اهلهما

وامثلة ذلك في هذه المناظرة كثيرة لا يجب ان تمر دون تقييدها . واليك بعض منها .

اولاً — ان مجلة الجامعة تنفق حياة منشئها في الليل والنهار على استخراج المسائل ونشرها . وهي تنشر ما تنشره بقطع النظر عن رضى الاحزاب او سخطها لانها تطلب الحقيقة المجردة . فما دامت تنشر الحقائق عن الحزب الازرق مثلاً فان زيداً وبكراً من الحزب الاحمر يكونان راضيين مسرورين . ويكتب زيد في مجلة يقول عنها : هكذا تكون الكتابة والا فلا . ويكون زيد يعمل في قومه ما تعمله الجامعة في قومه . ولكن اول ما يخطر للجامعة نشر شيء من الحقائق التي يدعوا اليها زيد في مجلته بغتم زيد هذه الفرصة ليحمل نفسه في منزلة المدافع عن قومه ويرمي رفيقته ورصيفته باقبح التهم تروى بحسب

لبضاعته . فبعد ذلك هل يكون لدى زبد شيء من القوى الادبية
ثانياً — المنار مثلاً لا تروقه اعمال محمد علي باشا والجناب الخديوي وساحة ابي
الهدى افندي والعلامة الشيخ حسين الجسر الطرابلسي واكابر علماء المسلمين في مصر فلا
ينفك عن التناول عليهم (على قصره) في اكثر اجزائه باساليب مختلفة . وحرية الصحافة في
مصر تبيح له ذلك . ولكن اول ما نقوم بمجلة الجامعة لتكامل له بكيله ردّاً لافترائه عليها
يصيح قائلاً : قاتل الله حرية الصحافة التي تجيز للمجلات ان تنشر ما تنشر . فهل هذا
من القوى الادبية

ثالثاً — المنار يرد على الجامعة في موضوع فلسفي فتد الجامعة عليه وتوجه ببراهين
قطعية تدل على صحة نقلها . فماذا يفعل المنار بعد ذلك . هل يعترف بخطئه ؟ حاشا بل
انه يندفع على رصيفته بالسباب والشتم كما يصنع اولاد الازفة . واذ يرى ان الشتم العلني
والضمني لا يرويان غليله يعمد الى الكذب والتزوير . فيدعي ان الجامعة كتبت الى
بعضهم نقول كذا وكذا بشأن الغزالي وغيره . وهي دعوى مخالفة من اصلها . فهل هذا
الكذب والافتراء لنكايه رصيف ينطبقان على القوى الادبية

رابعاً — صاحب المنار مثلاً اذا وردته مجلة الهلال كان يأخذها ويقلب بضع
صفحات فيها ثم يقول : والله لا ارى شيئاً في هذه المجلة يستحق عناء المطالعة . ثم يظهر
استياءه من كتابة حضرة صاحب الهلال التاريخ الاسلامي . وحضرة صاحب الهلال اذا
اخذ المنار في سنته الاولى كان يقول : المنار فارغ وما هو الا الفاظ مصفوفة بعضها وراء
بعض . فلما اتفق المنار والهلال على ظهر الجامعة صار الهلال ينادي : ان المنار من اركان
النهضة الاسلامية (زه زه) والمنار ينادي عن الهلال لانه لا يخرج في كتابته عن المألوف
ولان الجامعة لا نقول في المنار ما قاله الهلال : ان الهلال كاتب منصف الخ الخ . —
فهل هذه هي القوى الادبية .

خامساً — المنار مثلاً يزعم زعماء عن شيء نقلته الجامعة . فتورد الجامعة المصدر الذي
نقلت عنه ونقول له راجع الكتاب كذا تأليف الفيلسوف رنان الصفحة كذا السطر كذا .
فما هو اول تمّ للمنار بعد ذلك ؟ لا همّ له الا الصياح بان رنان رجل متعصب جاهل وقد
جادله فلان فحجه وهو يطعن في الدين الاسلامي . ثم تستشهد على ذلك بعبارة نقول
انه قالها — فرنان متعصب ؟ واضح كنهه . ليتك يارنان تسمع هذا القول المضحك . ولن
يتعصب رنان الذي كُتبه في المسيحية مشهورة . ربما يقال انه يتعصب للعلم والفلسفة .

ولكن هذا خطأ ايضاً . لان هذا الرجل الذي لم تلد الامهات بعده . ولا في عصره رجلاً يساويه كان رسول التهازل في كل شيء . والدليل على تساهله العظيم سخط مجلة كالنار عليه وسخط المتعصبين من المسيحيين . فالطرفان يتشابهان دائماً . لذلك لا نستغرب ذلك الحكم من المنار . وانما استغربنا نسبة تلك العبارة اليه . وهذا يدل على ان المنار لا يأنف من استعمال سلاح الافتراء والتزوير . ففي اي كتاب قال رنان تلك العبارة . اذكر هذا الكتاب باحضرة الشيخ رشيد ودلنا عليها فيه . وانا ادفع عشرة جنيهات لصندوق الجمعية الخيرية الاسلامية غرامة . لعلك تقول ان هذه العبارة وردت في كتابه « ابن رشد » — ولكن سامحك الله الم تر انهم منسوبة الى ابن رشد نفسه لا الى رنان . وما رنان في ذلك السطر الذي فيه اهانه للاسلام والمسيحية واليهودية معاً الا راو ينقل اشاعة عن لسان هذا الفيلسوف . ثم كيف يمكن ان يعتقد رنان ذلك الاعتقاد وهو القائل في مقدمة كتابه تاريخ الرسل « انني اعرف ان في نفوس بعض الرجال المتسكين باداب الدين الاسلامي « القديمه » وفي بضعة من رجال الاستانة وبلاد الفرس جرائم تدل على فكر واسع وعقل ميال للمسالمة » وقد نقل المنار هذا القول بعينه عن الجامعة في احد اجزائه السابقة . فهل يكون من الذمة ان ينسب الى قائله ما نسبته المنار اليه . واين تكون القوي الادبية التي هي اساس كل اصلاح اذا كننا نفتري مثل هذا الافتراء على كل من لا يعجبنا رأيه في بعض المسائل . ثم الا يكون المفترى هو الذي يهين المبادئ الدينية الكريمة لقوله عن رنان انه قال عنها كذا وكذا مع ان هذا الامر لا اصل له البتة وقد اثني عليها رنان في عدة مواضع

سادساً — شاب لعب دوراً في بيروت في زمن واليها نصوحي ثم جاء مصرأ واستخدم فيها في محل زراعي وقبل ذلك في محل آخر . . وبما انه معتاد على الاخذ والعطا دائماً فانه عاد الى عاداته . فصار اذا جاء ادارة الجامعة يقول : لما كنت في بيروت كان صاحب المنار الشيخ رشيد الطرابلسي يقف على بابي ساعتين قبل ان آذن له بالدخول . ثم يقول عن المفتي كذا وكذا وكذا . ولما بقصد ادارة المنار يقول فيها عن الجامعة كذا وكذا . فيصدق صاحب المنار ذلك كما صدق قوله ان الجامعة كتبت اليه بمسالة الغزالي . وانا ادفع عشرة جنيهات ايضاً لمن يثبت ان الجامعة كتبت حرفاً بهذا الخصوص لاي كان . ثم ان ذلك الشاب احياناً يخرج تحاريير من جيبه ويقول انها من عطوفتو والي بيروت رشيد بك او دولتو ناظم باشا وردت عليه منها . وهو يقصد بذلك ايها اصحاب الجرائد بان له صلات خصوصية مع اناس كرام ينال بها كل ما

يريده . فيتخذ بذلك كثير من حتى اكبر الجرائد في مصر وينشرون له ما يريد نشره .
فبروح حينئذٍ مفتخرًا بأنه هو الذي نشر ذلك القول وهو الذي سحر بخلايقه اكبر
العقول واخضعها له . فهل يليق ان شخصاً كهذا الشخص يدخل بين المنار والجامعة و يلقي
الفتنة بينهما دون ان تدري بها والمنار يصدق كل اكاذيبه . هل يصح ان يكون هكذا
تأثير شاب منقلب في الصحافة الجدية التي تخدم المصلحة العامة . وما هذه القوى الادبية التي
يلعب فيها اصغر المتلاعبين

اجل ان القوى الادبية نادرة في الشرق من سوء حظه . وما دام المتصدرون فيه
يفضلون المصالح على المبادئ ويكرهون سماع صوت الحقيقة اذا كانت مخالفة لمصالحهم
وأرائهم ويحاربون صاحب ذلك الصوت حتى بالكذب والافتراء والتزوير فكل هذه الجلبة
في الشرق تكون صحيحة وضوء لا نهضة وارقاء . لان كل ما يبنى على غير اساس فهو
مهدوم . ولا سبيل للعقلاء حينئذٍ ما كانوا ميالين للمسالمة الا محاربة المعتدين بسلاحهم
طبقاً لسنة الحرص على البقاء

﴿ الجامعة ﴾ لولا ما في هذه الرسالة من الفكاهة والتفنن لضر بنا صفحاً عنها .
وقد استغربنا اهتمام حضرات اصدقاء الجامعة ومراسليها الافاضل باقوال تحكي فقايع الماء
ولذلك نعتذر عن نشر باقي الرسائل ونكتفي بشكر المراسلين الكرام خصوصاً حضرة المراسل
الازهرى . وليس الغرض في هذه المباحثة الا ايضاح المسائل الفلسفية المختصة بها وقد
اوضحنا هذه المسائل في كتاب على حدة عنوانه « ابن رشد وفلسفته » واما باقي الصفائح
التي تخللتها فنحن لا نعرفه من طيبة قلب رصيفنا صاحب المنار وسرعة نقله لانشك في انه قد ندم
الآن على صدورها منه



المدينة الجديدة والمدينة القديمة

✽ في الدولة العلية العثمانية ✽

للدولة العلية العثمانية اربع بقع لا شبيه لها في العالم . البقعة الاولى الاستانة نفسها ببريها وبحريها . والبقعة الثانية الاناضول — تلك البلاد الواسعة الخصيبة التي لا يزال خصبها فيها والتي تاخذ الدواة منها اقوى جيش لها واصبره على متاعب الحرب وارضاه بالكفاف في مواقع القتال . والبقعة الثالثة سوريا بارضها الاورشليمية ولبنانها الشاغخ وهوائها اللطيف . والرابعة ارض ما بين النهرين وهي اخصب ارض في الكرة الارضية

وكلامنا في هذا الفصل عن هذه الارض التي كانت وطننا لا قدم مدينة . قال المسيو ليفني : ان اراضي ما بين النهرين وجهات بابل كانت في القرن الخامس قبل الميلاد المسيحي في حال خصب لا يصدق . فان ملك الفرس خسرو الثاني كان يجمع منها من الضرائب في السنة ما يساوي اليوم ٨٠٠ مليون فرنك . وكانت هذه الضرائب تبلغ ثلث حاصلات الزراعة . فتكون غلة تلك الاراضي في كل سنة ١٢٠ مليون جنيه وهي ثروة لا تعادلها ثروة . و بما ان دخل الدولة العلية يبلغ اليوم من ٢٥ الى ٣٠ مليون جنيه في العالم فتلك الارض المعملة اليوم والتي تحرقها الشمس طول النهار يساوي دخلها وحدها مضاعف دخل الدولة اربع مرات . ولذلك كان من المقدم على كل شيء التفكير في احيائها

واذا كانت الفكرة العسكرية قد احلت مشروع سكة بغداد الحديدية في اسمي منزلة في ذهن جلالة السلطان فان هذه الفكرة المالية قد زادت ولا شك اهتمام جلالة به . ولذلك لا ينتظر سقوط هذا المشروع في زوايا النسيان والاهمال مهما قام في سبيله من العثرات . ومتى تم وظهرت آثاره العظيمة فان التاريخ يعدّه ولا شك انفع الاعمال والاصلاحات التي تمت في عهد جلالة . ولا يعود خزان اصوات ولا نيل مصر يذكران بازائه

وليس المطلوب الآن من المدينة الجديدة الداخلة الى تلك البلاد البعيدة الا اعادة اعمال المدينة القديمة . فان آثار اقية الماء والاحواض وطرق الري لا تزال ظاهرة في تلك البلاد . فاذا اعيدت كلها الى حالتها السابقة وامنت السبل وانهمال الناس من جهات

الاناضول وسوريا لتعمير الارض هناك فان الدولة العثمانية تصبح دولة من اقوى دول الارض واعظمها واغناها ولا يعود احد يخشى على مستقبلها . ولذلك يقول الالمانيون ان سكة بغداد الحديدية ستحل المسألة الشرقية حلاً فيه مصلحة الدولة العثمانية

﴿ سكة الاناضول ﴾ وهذه السكة البغدادية التي ستقوم بهذه العظام كلها ستكون ثمة اسكة الاناضول الالمانيه الموجودة الآن . وهي تبتدىء من شاطيء البوسفور الشرقي في الاستانه ممتدة على موازاة بحر مرمر الى اشميد (نيكوميديا القديمة المشهورة بكنوزها النفيسة) ومن هناك تتجه نحو (اده بزار) على مسافه ٤٥ كيلو متراً من البحر الاسود فبلجوك فاسكي شهر حتى انقره وهي انسيريا القديمة المشهورة بترية الماعز . ثم تنتهي الى قونية . ومن قونية يمتد منها فرع الى مدينة اضاليا المشهورة في التاريخ باسم « ابكويوم » وقد اسست منذ نحو ثلاثة آلاف سنة . ولقد زرنا هذه المدينة منذ نحو عشر سنوات فسمعنا الناس فيها يشكون بومئذٍ من عدم وصول هذه السكة اليهم وهذه السكة تمتد في وسط طبيعة من اجل ما خلق الله . ومساحتها كلها ١٠٥٠ كيلومتراً . اما وارداتها فقد بلغت في عام ١٩٠٠ — ٣٣٤ مليون فرنك و ٤٦٠ الف اي بزيادة ١٨٤ مليون فرنك عن العام السابق . ومن البوسفور الى انقره فقط نقلت في عام ١٩٠٠ مليون مسافر و ١٢٥ الف ٩٥٢ . وبما ان الدولة قد اذنت باشاء ميناء في حيدر باشا في الشاطيء الذي تبتداء منه هذه السكة قرب الاستانه فلا ريب ان احوالها ستتحسن ايضاً

﴿ وصل الخطوط ﴾ ولكن كل تحسين في هذا الخط لا يجدي النفع المطلوب اذالم تمدهذه السكة الى خارج الاناضول لتأخذ وتعطي في بلاد واسعة . وهذه الحالة هي حالة سكة آطنه ايضاً . فقد سافرنا منذ نحو عشر سنوات في هذه السكة من مرسين الى ترسيس فسمعنا من كل جانب الشكوى من ضعف احوالها لانها مقصورة على خط واحد محصور بين آطنه واسكنتها مرسين . فالقصد الان وصل خط الاناضول في جهات قونية بخط آطنه ثم ارساله من هناك الى جهات ما بين النهرين فيعم اسيا الصغرى كلها .

﴿ راسمال سكة بغداد وضمانتها ﴾ اما الراسمال اللازم لهذا المشروع فهو ٦٠٠ مليون فرنك منه للالمانيين ٦٠ في المائة وللفرنسيين والبلجيكيين ٤٠ في المائة . واذا رام بعض الدول الاخرى الاشتراك فيه فخصص لها ١٠ في المائة من مجموع . وتؤخذ هذه العشرة في

المائة على هذه النسبة : ٦ من راسمال الالمان و٤ من راسمال الفرنسوين والبلجيكيين
وبموجب الاتفاق بين الشركة والباب العالي تدفع الدولة سنوياً لهذه الشركة ١٦٥٠٠
فرنك عن كل كيلومتر منها . وبما ان طول الخط الجديد ٢٥٠٠ كيلومتر فان الباب
العالي يدفع ٤٠ مليون فرنك في كل عام ضماناً لفائدة راسمال الشركة . ولا ريب ان
كل ذلك امر هين اذا كان يُرجى من السكة الفوائد العظيمة التي تقدمت . ولكن الدولة
لا تدفع هذه الضمانة كلها بل هي تدفع منها فقط ٢٥ مليون فرنك كل عام لانهم يقدر
ان دخل الكيلومتر الواحد بعد مده وقبل اتمام الخط كله لا ينقص عن ٥ او ٦ الاف
فرنك . فيُطرح هذا الدخل من الضمانة التي ضمنتها الدولة للشركة

﴿ طريق سكة بغداد ﴾ اما طريق سكة بغداد فهي تبتيدي من قونية
التي تقدم ذكرها فتتصل بالخط الوارد من الاسنانة وازمير ثم تنجبه نحو قفار اسيا الصغرى
فتجتزئها وتجتاز جبال طورس قرب كولك بوغاز التي كانت في التاريخ القديم مرفأ من
اشهر المرافىء . ومن هناك تمتد في شاطئ خصب حتى مرسين وادنه . ثم تساق في
شمالى سوريا فاصدة عينتاب وحلب ومنها الى قرقيش القديمة (دشرا بلس اليوم) على الفرات .
فتجتاز هذا النهر المشهور على جسر كبير مسوفة نحو حران فالموصل . ومن الموصل تمتد على
شاطئ الدجلة الايمن حتى تنتهي الى بغداد عاصمة السلطنة العباسية المشهورة . ومن هناك
يمتد فرع منها الى حدود ايران ليكون انيقاً يمتص تجارتها وحاصلاتها . وعند بغداد يُترك
نهر الدجلة جانباً ويمد الخط في اخصر طريق نحو خليج العجم كالكويت مثلاً التي ثار
الخلافاً المعلوم بشأنها . ولو كان نهر شاة العرب المولف من اجتماع نهرى الفرات والدجلة
عند البصرة يحمل السفن الكبيرة اذا مغرت عبابه لاكتفى بمده الى البصرة ولم يوصل الى
شاطئ البحر .

هذا ما راينا ذكره عن هذه السكة العظيمة التي ستكون من عجائب الدنيا بعد اتمامها .
ففى ان لا يحول شيء دونه

كل طالب للاشتراك لا يدفع قيمة الاشتراك مقدماً
لا ترسل له المجلة